المؤتمر القرآني الدولي الثاني
في هدايات القرآن الكريم

تَعظِيمُ اللهِ تَعَالى
فِي هِدايَات القرْآن الكَريم

تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

عنوان البحث

التعامل الشكلاني مع الوحي مورث لضعف التعظيم الوجداني

اسم الباحث

د/ إدريس مولودي

د. إدريس مولودي

التعامل الشكلاني

مع الوحي مورث لضعف التعظيم الوجداني

المبحث الأوّل: التمهيدي

تروم هذه الدراسة إلىٰ تجلية العلاقات التي تربط بين التعامل مع الوحي وتعظيم الله جل جلاله، وبعض مقتضياتها، من خلال نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف، ومن ثم سنمهد للحديث عن الموضوع بمقدمة نضمنها قراءة جامعة في المركب اللفظي؛ عنوان الموضوع بتعريف مصطلحاته المفاتيح. لأن فهم النصوص ودراستها يتأسس علىٰ فهم الألفاظ ودلالاتها، والألفاظ الأساسية في عنوان هذه الدراسة، هي الوحي والتعظيم والشكل والوجدان. واللفظ الرئيس والمفتاح الذي نسعىٰ إلىٰ تحقيق مقتضياته كما يدل علىٰ ذلك العنوان هو «التعظيم» ومن ثم فسيكون أول ما ينبغي طرقه بنوع من التفصيل من حيث بيان معناه لغة وفي الاصطلاح القرآني.

التعظيم في اللغة

تدور مادة (ع ظ م) في المعاجم اللغوية[1] علىٰ كِبَرٍ وَقُوَّةٍ وكثرة. يقول ابن فارس: الْعَيْنُ وَالظَّاءُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَىٰ كِبَرٍ وَقُوَّةٍ. وَمُعْظَمُ الشَّيْءِ: أَكْثَرُهُ[2]. وقال ابن منظور: وعُظْمُ الشَّيْءِ ومُعْظَمُه: جُلُّه وأكْثَرُهُ[3]. وقال ابن فارس: وَمِنَ الْبَابِ الْعَظْمُ، مَعْرُوفٌ، وَهُوَ سُمِّي بِذَلِكَ لِقُوَّتِهِ وَشِدَّتِهِ[4]. وقال الراغب: وعَظُمَ الشيء أصله: كبر عظمه، ثم استعير لكلّ كبير، فأجري مجراه محسوسا كان أو معقولا، عينا كان أو معنىٰ[5]. ومن ثم فالذي يبدو أن المعنىٰ الحسي الذي انطلقت منه جميع المعاني هو العظم بالسكون.

وتعظيم الشيء أن تراه في نفسك عظيما بما تكبّره وتفخمه وتبجله وتوقره

وهو ما دلت عليه المعاجم، قال ابن فارس: إِذَا عَظُمَ [الشيء] فِي عَيْنَيْكَ قُلْتَ: أَعْظَمْتُهُ وَاسْتَعْظَمْتُهُ[6]. وقال الخليل: وعَظَّمَهُ يُعَظِّمُهُ تعظيمًا، أي: كبّره. ورأيت شيئًا فاستعظمته.

---

(١) المعاجم المعتمدة في الدراسة: (العين، والجمهرة، والتهذيب، والصحاح، والمقاييس، والأساس، والنهاية، والمفردات، واللسان، والمختار، والتاج).

(٢) المقاييس (عظم).

(٣) اللسان (عظم).

(٤) المقاييس (عظم).

(٥) المفردات (عظم).

(٦) المقاييس (عظم.

واستعظمْتُ الشيء: أخذت أُعَظِّمُهُ[١]. قال الجوهري: وأعظم الأمرَ وعَظَّمه، أي فخَّمه. والتَعْظيمُ: التبجيلُ[٢]. وقال الفيومي: وَعَظَّمْتُهُ تَعْظِيمًا مِثْلُ وَقَّرْتُهُ تَوْقِيرًا وَفَخَّمْتُهُ[٣]. وعلة التعظيم، المقام الذي بلغه المعظّم في النفوس لعلمه أو خلقه أو جاهه. قال الزبيدي: ولِفُلانٍ عَظَمَةٌ عنْدَ النَّاسِ، أَي حُرْمَةٌ يُعَظَّمُ لَها[٤].

التعظيم في القرآن الكريم:

بما أننا لسنا بصدد دراسة مصطلحية للفظ التعظيم الذي جاء في القرآن الكريم بمشتقاته في موارد كثيرة، سنقف مع ما ارتبط مباشرة باللفظ من المشتقات، وذلك هو المشتق الفعلي «يعظِّم» وقد ورد مرتين في سورة «الحج»، في سياق الحض علىٰ تعظيم شعائر الله تعالىٰ وحرماته، قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠]، وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج].

بعد جولة في بطون بعض التفاسير رأيت أن بعضا منهم ربط التعظيم بالجانب العملي الشكلي كاستحسان واستسمان البدن، لكن تبدىٰ أن ما ذهب إليه بعض آخر من أن التعظيم شأن وجداني بالأساس تترتب عليه أعمال وأشكال. هو الراجح، يقول الشيخ السعدي: «تعظيمها إجلالها بالقلب، ومحبتها، وتكميل العبودية فيها، غير متهاون، ولا متكاسل، ولا متثاقل»[٥]. ويقول الشيخ الشعراوي بنوع من الإضافة في سياق تفسيره لآية ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾: «وتعظيم الشيء أبلغ وأشمل من فِعْله، أو أدائه، أو عمله، عَظَّم الشعائر يعني: أدَّاها بحبٍّ وعشْق وإخلاص، وجاء بها علىٰ الوجه الأكمل، وربما زاد علىٰ ما طُلِبَ منه»[٦].

التعظيم في بحثنا متعلق بالله جل جلاله، ومن ثم يمكن أن نجمع الكلام فيه قائلين: **التعظيم اعتقاد في القلب من حيث إجلال الله تعالىٰ ومحبته والإخلاص له. وما اقتضاه حتما من العبودية له علىٰ الوجه الأكمل، دون تهاون، ولا تكاسل.**

---

(١) العين (باب العين والظاء والميم)
(٢) الصحاح (عظم).
(٣) المصباح المنير (عظم).
(٤) تاج العروس (عظم).
(٥) تفسير السعدي (٥٣٧)
(٦) تفسير الشعراوي (١٦/ ٩٨٠٨)

الوجدان: القصد بالوجدان هو باطن الإنسان، وقد عبر عنه القرآن الكريم بألفاظ كثيرة؛ من أهمها؛ النفس والقلب والروح. قال تعالىٰ في التعبير عنه بالنفس، قال تعالىٰ: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف]، وقال عيسىٰ بن مريم: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾[المائدة: ١١٦] .

أورد الله تعالىٰ في الآية الأولىٰ نوعين من الذكر باعتبار مصدرهما، أولهما الظاهر دون الجهر بالقول من اللسان، وثانيهما الغائب الصادر من أعماق النفس أي باطن الإنسان. قال الطاهر بن عاشور في إشارة إلىٰ هذا المعنىٰ رابطا بين النصين القرآنيين: «وَلِكَوْنِ مَقَرِّ النَّفْسِ فِي بَاطِنِ الْإِنْسَانِ؛ أُطْلِقَتْ عَلَىٰ أُمُورِ بَاطِنِ الْإِنْسَانِ مِنَ الْإِدْرَاكِ وَالْعَقْلِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ حِكَايَةً عَنْ عِيسَىٰ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾»[1]

وفي التعبير عن الوجدان بالقلب، قال تعالىٰ: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾[الحج].

فالقلب أداة عقل الأشياء وإدراكها والاعتبار بها، ومن ثم الاتعاظ والتأثر الوجداني وما يترتب علىٰ ذلك من أعمال ظاهرية، وتأكيدا لذلك يقول الشيخ رشيد رضا مستشهدا بنصوص قرآنية أخرىٰ: «وَمِنَ اسْتِعْمَالِهِ فِي مَعْنَىٰ الْوِجْدَانِ النَّفْسِيِّ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ فِي (سُورَةِ الزُّمَرِ): ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾، وَقَوْلُهُ فِي (آل عمران والأنفال): ﴿سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ﴾ [آل عمران: ١٥١]، ﴿سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ﴾[الأنفال: ١٢]، وَقَوْلُهُ فِي (النَّازِعَاتِ): ﴿قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾﴾ فَالِاشْمِئْزَازُ وَالرُّعْبُ وَالْوَجِيفُ شُعُورٌ وِجْدَانِيٌّ»[2].

وفي التعبير عنه بالروح، قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾[الحجر]، وقال أيضًا: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾﴾[الإسراء].

فالروح من عالم الغيب ولا قدرة للإنسان علىٰ إدراك كنهه، ومن ثم كانت أدخَل في معنىٰ باطن الإنسان من غيره، يقول أبو السعود: «ومن جنس ما استأثر الله تعالىٰ بعلمه منَ الأسرارِ الخفيةِ التي لا يكاد يحوم حولها عقولُ البشر ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ لا يمكن تعلّقُه بأمثال ذلك»[3].

---

(١) التحرير والتنوير (٩/ ٢٤١).

(٢) تفسير المنار (٩/ ٣٥١).

(٣) إرشاد العقل السليم (٥/ ١٩٢).

الشكل: القصد بالشكل؛ الصورة الظاهرية للإنسان وعلاقاتِه، وما حوله من صور مجسدة علىٰ الأرض وغيرها، مما يستعمله الإنسان أو يتفاعل معه للصلاح أو للفساد، للعمران أو للخراب. أو بتعبير آخر «ظواهر الحياة الدنيا» انطلاقا من قوله تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [الروم]، يقول أبو السعود رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وهو ما يُشاهدونَهُ من زخارِفها وملاذِّها وسائرِ أحوالِها الموافقةِ لشهواتِهم الملائمةِ لأهوائهم المستدعية لانهماكهم فيها وعكوفِهم عليها»[(١)]. ويقابل الشكل والظاهر؛ الجوهر والباطن، ومنه الوجدان من الإنسان، وهو الأساس والأصل الذي تتفرع عنه السلوكيات والأعمال الظاهرة مما يصدر عن الحواس وغيرها؛ «هذه الجوارح هي أداة تنفيذ ما استقر في الوجدان»[(٢)]، فنسب الله تعالىٰ الإثم للقلب رغم ارتكابه بالجوارح، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣]؛ «لأنَّ القلب هو رئيس الأعضاء، والمضغة التي إن صلحت صلح الجسد كله وإن فسدت فسد الجسد كله. ولأن أفعال القلوب أعظم من أفعال سائر الجوارح. وهي لها كالأصول التي تتشعب منها»[(٣)]. «فمجرد نظر العين، وسماع الأذن، وسير البدن الخالي من التفكر والاعتبار، غير مفيد، ولا موصل إلىٰ المطلوب، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] أي: هذا العمىٰ الضار في الدين، عمىٰ القلب عن الحق، حتىٰ لا يشاهده كما لا يشاهد الأعمىٰ المرئيات، وأما عمىٰ البصر، فغايته بلغة ومنفعة دنيوية»[(٤)].

---

(١) إرشاد العقل السليم (٧/ ٥٠).

(٢) تفسير الشعراوي (١٦/ ٩٨٦٢).

(٣) محاسن التأويل (٢/ ٢٣٧).

(٤) تفسير السعدي (٥٤١).

المبحث الثاني: بعض مظاهر ضعف تعظيم الله تعالى

المعاصي والذنوب:

من أبرز مظاهر وتجليات ضعف التعظيم لله تعالىٰ؛ عصيان أوامره وارتكاب مناهيه، وكلما كان التمادي في ذلك إلا وتضاعف ضعف تعظيم الله تعالىٰ في القلب، يقول ابن القيم: «مِنْ عُقُوبَاتِ الذُّنُوبِ: أَنَّهَا تُضْعِفُ فِي الْقَلْبِ تَعْظِيمَ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ، وَتُضْعِفُ وَقَارَهُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ وَلَا بُدَّ، شَاءَ أَمْ أَبَىٰ، وَلَوْ تَمَكَّنَ وَقَارُ اللهِ وَعَظَمَتُهُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ لَمَا تَجَرَّأَ عَلَىٰ مَعَاصِيهِ، وَرُبَّمَا اغْتَرَّ الْمُغْتَرُّ، وَقَالَ: إِنَّمَا يَحْمِلُنِي عَلَىٰ الْمَعَاصِي حُسْنُ الرَّجَاءِ، وَطَمَعِي فِي عَفْوِهِ، لَا ضَعْفُ عَظْمَتِهِ فِي قَلْبِي، وَهَذَا مِنْ مُغَالَطَةِ النَّفْسِ؛ فَإِنَّ عَظَمَةَ اللهِ تَعَالَىٰ وَجَلَالَهُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ تَقْتَضِي تَعْظِيمَ حُرُمَاتِهِ، وَتَعْظِيمُ حُرُمَاتِهِ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الذُّنُوبِ، وَالْمُتَجَرِّئُونَ عَلَىٰ مَعَاصِيهِ مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَكَيْفَ يَقْدِرُهُ حَقَّ قَدْرِهِ، أَوْ يُعَظِّمُهُ وَيُكَبِّرُهُ، وَيَرْجُو وَقَارَهُ وَيُجِلُّهُ، مَنْ يَهُونُ عَلَيْهِ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ؟ هَذَا مِنْ أَمْحَلِ الْمُحَالِ، وَأَبْيَنِ الْبَاطِلِ، وَكَفَىٰ بِالْعَاصِي عُقُوبَةً أَنْ يَضْمَحِلَّ مِنْ قَلْبِهِ تَعْظِيمُ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَتَعْظِيمُ حُرُمَاتِهِ، وَيَهُونُ عَلَيْهِ حَقُّهُ»[1].

العناية بخدمة المحبوب من البشر أكثر من حق رب البشر

وهذا مما يظهر في معاملات العديد من الناس، يبذلون الجهد والوقت. خدمة لبعض الناس ولا يتركون للخالق إلا ما فضل عنهم. ومما جاء عن ابن القيم في ذلك: «لَمْ يَقْدِرْهُ حَقَّ قَدْرِهِ مَنْ طَاعَةُ الْمَخْلُوقِ أَهَمّ [عنده] مِنْ طَاعَتِهِ، فَلِلَّهِ الْفَضْلَةُ مِنْ قَلْبِهِ وَقَوْلِهِ وَعَمَلِهِ. يَسْتَخِفُّ بِنَظَرِ اللهِ إِلَيْهِ، وَاطِّلَاعِهِ عَلَيْهِ بِكُلِّ قَلْبِهِ وَجَوَارِحِهِ، وَيَسْتَحِي مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحِي مِنَ اللهِ، وَيَخْشَىٰ النَّاسَ وَلَا يَخْشَىٰ اللهَ، وَيُعَامِلُ الْخَلْقَ بِأَفْضَلِ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَإِنْ عَامَلَ اللهَ عَامَلَهُ بِأَهْوَنِ مَا عِنْدَهُ وَأَحْقَرِهِ، وَإِنْ قَامَ فِي خِدْمَةِ مَنْ يُحِبُّهُ مِنَ الْبَشَرِ قَامَ بِالْجِدِّ وَالِاجْتِهَادِ وَبَذْلِ النَّصِيحَةِ، وَقَدْ أَفْرَغَ لَهُ قَلْبَهُ وَجَوَارِحَهُ، وَقَدَّمَهُ عَلَىٰ الْكَثِيرِ مِنْ مَصَالِحِهِ، حَتَّىٰ إِذَا قَامَ فِي حَقِّ رَبِّهِ إِنْ سَاعَدَ الْقَدَرُ قَامَ قِيَامًا لَا يَرْضَاهُ مَخْلُوقٌ مِنْ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ، وَبَذَلَ لَهُ مِنْ مَالِهِ مَا يَسْتَحِي أَنْ يُوَاجِهَ بِهِ مَخْلُوقًا مِثْلَهُ، فَهَلْ قَدَرَ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ مَنْ هَذَا وَصْفُهُ؟ وَهَلْ قَدَرَهُ حَقَّ قَدْرِهِ مَنْ شَارَكَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَدُوِّهِ فِي مَحْضِ حَقِّهِ مِنَ الْإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ؟ »[2] لا والله ما قارب ولا اقترب.

---

(١) الجواب الكافي (٦٩).

(٢) المصدر نفسه (١٤٢).

المبحث الثالث: المعرفة بالله تعالى أساس تعظيمه

مما لا يخفىٰ علىٰ عاقل أن العلم بالشيء من عالم الشهادة؛ هو الذي يحدد الموقف منه ونوع التعامل معه، فكيف بعالم الغيب؟ ورأس الغيبيات الله جل جلاله، وليس اعتباطا أن يبوب الإمام البخاري بابا من كتابه الجامع المسند الصحيح بعنوان «العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ»[1] مفتتحا إيَّاه بأمر الله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩]، ومن ثم كانت غاية الغايات من وجود الإنسان العلم بالله تعالىٰ والارتقاء في منازله، يقول ابن القيم: «أجلُّ المقاصد معرفة الله ومحبته والأنس بقربه والشوق إلىٰ لقائه والتنعم بذكره وهذا أجل سعادة الدنيا والآخرة وهذا هو الغاية التي تطلب لذاتها»[2] الغاية التي من أجلها خلق الله الجن والإنس، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات]، ومن أجود ما فُسِّر به هذا القصد قول مُجَاهِد: «إِلَّا لِيَعْرِفُونِي»، كما أورده البغويُّ وغيره، ثم قال بعده: «وَهَذَا أَحْسَنُ؛ لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَخْلُقْهُمْ لَمْ يُعْرَفْ وُجُودُهُ وَتَوْحِيدُهُ»[3]. وهي الغاية التي اشترك فيها جميع الأنبياء والمرسلين باعتبارها أساس دعوتهم، فسعوا لتحقيقها في أنفسهم وفي المرسل إليهم، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء].

هذا الأساس والمقصد الأجل الذي هو العلم بمعرفة الله تعالىٰ كان بذلك وغيره رأس العلوم وأشرفها وغيره خادم له، والأصل الذي ينبني عليه غيره من العلوم، وفي ذلك يقول أبو حامد الغزاليُّ: «العلم الأعلىٰ الأشرفُ عِلمُ معرفة الله تعالىٰ، فإن سائر العلوم تُرادُ له ومن أجله وهو لا يُراد لغيره»[4]، وكلما ارتقىٰ العبد في العلم بمعرفة الله تعالىٰ بأسمائه وصفات جلاله وجماله وكماله. إلا وارتقىٰ في تعظيمه وتقديسه وتوقيره لله تعالىٰ، فكان بذلك التعظيم منزلة من منازل السائرين إلىٰ الله تعالىٰ، متناسبة طَرَدا مع المعرفة به سبحانه، يقول ابن القيم: «وَمِنْ مَنَازِلِ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾: مَنْزِلَةُ التَّعْظِيمِ. وَهَذِهِ الْمَنْزِلَةُ تَابِعَةٌ لِلْمَعْرِفَةِ، فَعَلَىٰ قَدْرِ الْمَعْرِفَةِ يَكُونُ تَعْظِيمُ الرَّبِّ تَعَالَىٰ فِي الْقَلْبِ. وَأَعْرَفُ النَّاسِ بِهِ: أَشَدُّهُمْ لَهُ تَعْظِيمًا وَإِجْلَالًا. وَقَدْ ذَمَّ اللهُ تَعَالَىٰ مَنْ لَمْ يُعَظِّمْهُ حَقَّ عَظَمَتِهِ، وَلَا عَرَفَهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ، وَلَا وَصَفَهُ حَقَّ صِفَتِهِ»[5].

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٢٤).

(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (١١٤).

(٣) تفسير البغوي (٤/ ٢٨٨)

(٤) جواهر القرآن (٤٢).

(٥) مدارج السالكين (٢/ ٤٦٣).

المبحث الرابع: القرآن الكريم باب معرفة الله تعالى وتعظيمه

المطلب الأول: القرآن كلام الله تعالى: الدلالات والمقتضيات

الكلام صفة للمتكم به، ومن أمثال العرب المشهورة «تكلم أعرف من أنت» فالكلام إذن يعرِّف بصاحبه، عالما أم جاهلا، وعاقلا أم مجنونا، ومتزنا أم متهورا، ولله المثل الأعلىٰ فكلامه تعالىٰ صفة لذاته، وكلامه العظيم الذي قال عنه: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان]، لا حدود له ولا نهاية له، كما دلَّت عليه جملة ﴿مَّا نَفِدَتْ﴾ ومن هذا الكلام العظيم؛ القرآن الكريم، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [التوبة].

يقول ابن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله سبحانه: ﴿يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ يعني القرآن وهي إضافة صفة إلىٰ موصوف»[1]، وهو ما أكدَّه الشيخ الأمين الشَّنقيطي، وبيَّنه بتفصيل جميل؛ في سياق تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾: «هذه الآية الكريمة من سورة براءة نص صريح في أنّ هذا الذي نقرؤه ونتلوه هو بعينه كلام الله؛ فالصوت صوت القاري، والكلام كلام الباري؛ لأن الله صرح أنّ هذا المشرك المستجير يسمع كلام الله يتلوه عليه نبيّ الله ﷺ. هذا المحفوظ في الصدور، المقروء بالألسنة، المكتوب بالمصاحف هو كلام الله جلّ وعلا بمعانيه وألفاظه. ولا شك أنّ أصل الكلام صفة لله جلّ وعلا»[2]، وإذا كان «الكلام صفة للمتكلم، وأن الصفة تابعة لموصوفها في العظم والخسة، والله تعالىٰ ليس كمثله شيء، فكلامه ليس كمثله كلام»[3].

ومن ثم فالقرآن كلام الله تعالىٰ له من العظمة ما يليق بعظمة الله العظيم ذي الجلال والكمال. ويمكن التعبير عن هذا المقام مع الشيخ الشنقيطي بقوله: «بَيْنَ كَلَامِ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ مِنَ الْمُنَافَاةِ مَا بَيْنَ ذَاتِ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ»[4]. ومع بديع الزمان النورسي في سياق حديثه عن الآية من القرآن

---

(١) المحرر الوجيز (٣/ ٩).

(٢) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف (١/ ٢٨٣، ٢٨٤).

(٣) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (٩/ ٥٣٨).

(٤) أضواء البيان (٢/ ٢٢).

بقوله: «بدا لي أن كل آية من آيات القرآن الكريم. تكسب علوّها وسموّها وقوتها لصدورها: من ذلك المقام السامي الرفيع الذي لا نهاية لعظمته، ولا غاية لسعته ولا منتهىٰ لسموه، من ذي الجلال والعظمة المطلقة، من المتكلم الازلي جل جلاله»(١).

وتلمس تجليات ذلك في اللفظ والمعنىٰ والأثر ففي المعنىٰ مثلا يقول الإمام الرازي: «الْمَعَانِي الَّتِي يَشْتَمِلُ عَلَيْهَا الْقُرْآنُ فَهِيَ أَحْوَالٌ لَائِقَةٌ بِجَلَالِ اللهِ، فَمَنْ وَقَفَ عَلَيْهَا عَظُمَ الْوَلَهُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنَّ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ نُورُ الْإِيمَانِ وَجَبَ أَنْ يَعْظُمَ اضْطِرَابُهُ عِنْدَ سَمَاعِ، قال تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ[الأنعام:٥٩]»(٢). وفي الأثر الذي يتركه علىٰ أحوال بعض عباده، يقول الإمام القرطبي: «وَصَفَ اللهُ أَحْوَالَ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ عِنْدَ سَمَاعِ ذِكْرِهِ وَتِلَاوَةِ كِتَابِهِ، فَقَالَ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾[المائدة] فَهَذَا وَصْفُ حَالِهِمْ وَحِكَايَةُ مَقَالِهِمْ»(٣).

المطلب الثاني: القرآن أعظم مصدر ودليل للتعرف على الله تعالى

الله جل جلاله يتصف بصفات مطلقة يصعب علىٰ العبد العلم بحقيقتها، وعلم العبد بالنسبة لعلم الله تعالىٰ كلا علم، كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾[النحل]، ومن ثم -كما قال أبو حامد الغزالي «يَسْتَحِيل أَن يعرف الله الْمعرفَة الْحَقِيقِيَّة المحيطة بكنه صِفَات الربوبية إِلَّا الله عز وَجل. وَهُوَ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ الصّديق الْأَكْبَر أَبُو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حَيْثُ قَالَ: (الْعَجز عَن دَرك الْإِدْرَاك إِدْرَاك). بل هُوَ الَّذِي عناه سيد الْبشر صلوَات الله عَلَيْهِ وَسَلَامه حَيْثُ قَالَ: (لَا أحصي ثَنَاء عَلَيْك أَنْت كَمَا أثنيت علىٰ نَفسك) وَلم يرد بِهِ أَنه عرف مِنْهُ مَا لَا يطاوعه لِسَانه فِي الْعبارَة عَنهُ، بل مَعْنَاهُ إِنِّي لَا أحيط بمحامدك وصفات إلهيتك، وَإِنَّمَا أَنْت الْمُحِيط بهَا وَحدك»(٤).

وإذا كان الله تعالىٰ هو المحيط بأسمائه وصفات جلاله وجماله وكماله. فالمرجع إليه سبحانه للعلم بمعرفته، وذلك عبر المنقول إلينا من كلامه بأعلىٰ درجات الصحة، القرآن الكريم الذي تعتبر معرفة الله تعالىٰ من أجل مقاصده ومهماته، يقول أبو حامد الغزالي في سياق

(١) المكتوبات (٥٠٨).
(٢) مفاتيح الغيب (٢٦/ ٤٤٧).
(٣) تفسير القرطبي (٧/ ٣٦٦).
(٤) المقصد الأسنىٰ (٥٤، ٥٥)

حصر مقاصد القرآن: «سِرُّ القرآن، ولُبَابُه الأصفىٰ، ومقصدُهُ الأقصىٰ، دعوَةُ العباد إلىٰ الجَبَّار الأعلىٰ، ربِّ الآخرةِ والأولىٰ، خالق السماوات العُلَىٰ، والأرَضين السفلىٰ، وما بينهما وما تحت الثَّرَىٰ. [ثم فرع عن هذا المقصد الكبير مقاصد أخرىٰ منها المهمة السابقة وعلىٰ رأسها] تعريف المدعو إليه»[١]. وعبّر عنها شيخ الإسلام بـ«المهمات» قائلًا: «مُهِمَّاتِ الْقُرْآنِ وَهِيَ: مَعْرِفَةُ اللهِ وَمَعْرِفَةُ الْآخِرَةِ وَمَعْرِفَةُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ. فَهَذِهِ الْمَعَارِفُ الثَّلَاثَةُ هِيَ الْمُهِمَّةُ وَالْبَاقِي تَوَابِعُ»[٢].

«ولهذه الْمعرفَة بَابَانِ واسعان: بَاب التفكّر والتأمّل فِي آيَات الْقُرْآن كلهَا، والفهم الْخَاص عَن الله وَرَسُوله. وَالْبَاب الثَّانِي: التفكّر فِي آيَاته المشهودة وَتَأمل حكمته فِيهَا وَقدرته ولطفه وإحسانه وعدله وقيامه بِالْقِسْطِ علىٰ خلقه»[٣]. وهذان البابان هما الطريق السمعية والطريق العقلية، كما نقل عن غير واحد من العلماء وقد نص عليهما جميعا القرآن الكريم «ذكر الخطابي طريقين إلىٰ معرفة الله وصفاته: طريقًا سمعية. وطريقًا عقلية، وكلاهما طريق شرعية معروفة بالقرآن»[٤].

ومن ثم فالأصل في الطرق الموصلة للمعرفة بالله تعالىٰ هو كتاب الله تعالىٰ، يقول بديع الزمان: «للوصول الىٰ الله سبحانه وتعالىٰ طرائق كثيرة، وسبل عديدة، ومورد جميع الطرق الحقة ومنهل السبل الصائبة هو القرآن الكريم»[٥]. ويقول في موضع آخر معددا أصول المعرفة بالله تعالىٰ والأسلم من بينها المختار عنده: «إن أصول العروج إلىٰ عرش الكمالات؛ وهو معرفة الله جلّ جلاله؛ أربعة: أولها: منهاج علماء الصوفية، المؤسس علىٰ تزكية النفس والسلوك الاشراقي. ثانيها: طريق علماء الكلام المبني علىٰ الحدوث والامكان. هذان الأصلان وإن تشعبا من القرآن الكريم، الاّ أن فكر البشر قد أفرغهما في صور أخرىٰ فأصبحتا طويلة وذات مشاكل. ثالثها: مسلك الفلاسفة. هذه الثلاثة ليست مصونة من الشبهات والأوهام. رابعها: المعراج القرآني الذي يعلنه ببلاغته المعجزة، فلا يوازيه طريق في الاستقامة والشمول، فهو أقصر طريق وأوضحه وأقربه إلىٰ الله وأشمله لبنىٰ الإنسان. ونحن قد اخترنا هذا الطريق»[٦].

---

(١) جواهر القرآن (٢٣).
(٢) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية (١٧/ ١١٤).
(٣) الفوائد (١٧٠).
(٤) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٣٠٢).
(٥) الكلمات، للنورسي (٥٥٨).
(٦) صيقل الإسلام (١٢٢، ١٢٣).

المطلب الثالث: القرآن أصل شعائر الله تعالى وموطنها

سبقت الإشارة إلىٰ الأمر بتعظيم شعائر الله تعالىٰ وحرماته في القرآن الكريم من سورة الحج، فما العلاقة بين «مصطلح القرآن الكريم» ومصطلحي «شعائر الله» و«حرمات الله»؟

«(الشعائر) جمع شعيرة، وهي كلّ شيء لله تعالىٰ، فيه أمر أشعر به وأعلم»[1]. وَالْأَصْلُ فِي الشَّعَائِرِ الْأَعْلَامُ الَّتِي بِهَا يُعْرَفُ الشَّيء»[2]، أو بتعبير آخر في ارتباط بالله تعالىٰ هي «علائم هدايته، وهو الدين»[3]، «والظاهر أنها في سورة الحج تفيد العموم، كما ذهب إلىٰ ذلك العديد من علماء اللغة والتفسير؛ فهِي كُلُّ شَيْءٍ فِيهِ لِلَّهِ تَعَالَىٰ شعار. فَشَعَائِرُ اللهِ أَعْلَامُ دِينِهِ، وَتَدْخُلُ الْهَدَايَا فِي الْحَجِّ دُخُولًا أَوَّلِيًّا»[4]، و«الْمَعَالِمُ الَّتِي نَدَبَ اللهُ إِليها وأَمر بِالْقِيَامِ عَلَيْهَا»[5]. انطلاقا من هذه المعاني فالقرآن الكريم من شعائر الله تعالىٰ، فهو كلام الله تعالىٰ؛ أشعر به تعالىٰ وأعلم به، وهو المصدر الأساس لمعرفة الله تعالىٰ ودينه والهادي إلىٰ صراطه المستقيم. سواء في شعائر الحج أم في غيرها. ومن ثم نجد من الأقوال في الشعائر أنها «دِينُ اللهِ وَكُتُبُهُ، وَتَعْظِيمُهَا الْتِزَامُهَا»[6]. إشارة إلىٰ كتب الوحي التي منها القرآن الكريم.

أما (الحرمات) فهي جمع حرمة، وهي أحكامه وما لا يحل هتكه، بل يحترم شرعا[7] «والمراد بها جميع التكليفات من مناسك الحج وغيرها»[8] و«قَالَ الزَّجَّاجُ: الْحُرْمَةُ مَا وَجَبَ الْقِيَامُ بِهِ وَحُرِّمَ التَّفْرِيطُ فِيهِ. وَالظَّاهِرُ مِنَ الْآيَةِ عُمُومُ كُلِّ حُرْمَةٍ فِي الْحَجِّ وَغَيْرِهِ، كَمَا يفيده اللفظ وإن كان السَّبَبُ خَاصًّا»[9].

---

(١) المحرر الوجيز (٤/ ١٢١).
(٢) مفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢٣).
(٣) محاسن التأويل (٧/ ٢٤٥).
(٤) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٥٣٤، ٥٣٥). «شَعَائِرُ اللهِ؛ أَعْلَامُ دِينِهِ لَا سِيَّمَا مَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَنَاسِكِ» تفسير القرطبي (١٢/ ٥٦)، «دين الله أَو فَرَائض الْحَج ومواضع نُسكه، أَو الْهَدَايَا» الكليات (٥٤١)، «شَعائِر اللهِ دين الله أو فرائض الحج ومواضع نسكه» تفسير البيضاوي (٤/ ٧١).
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (شعر، ولسان العرب (شعر
(٦) أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٢٨٨)
(٧) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ٧٠)، ومحاسن التأويل (٧/ ٢٤٣).
(٨) روح المعاني (٩/ ١٤١).
(٩) فتح القدير (٣/ ٥٣٤).

ولا شك أن القرآن الكريم هو أصل الأصول في الأحكام وجميع التكليفات، ومن ثم فهو من أعظم الحرمات الذي دعا الشرع إلىٰ احترامها وعدم التفريط فيها، فتعظيم كتاب الله أساس لتعظيم كل الحرمات. التي لا تعظم لذاتها «وحين تُعظِّم هذه الحرمات لا تُعظمها لذاتها، فليس هناك شيء له حُرْمة في ذاته، إنما تُعظِّمها لأنها حرمات الله وأوامره»[١]، «فالمعظم لها يبرهن علىٰ تقواه وصحة إيمانه، لأن تعظيمها، تابع لتعظيم الله وإجلاله»[٢].

إذا أضفنا لما سبق أن الله تعالىٰ وصف القرآن بأوصاف تدل علىٰ علو مقامه وقوة تأثيره مثل وصفه بأنه عظيم وعزيز ومهيمن ومجيد، وحكيم ومبارك وهدىٰ ونور وبصائر وروح وذكر وموعظة وشفاء وغير ذلك، فإن ذلك ليؤكد ما أشير إليه قبل؛ من كون القرآن جامع الشعائر والحرمات وأساسها. وفيه إشارة إلىٰ عظيم حقوقه علينا من مثل تعظيمه ومحبته والشوق إليه. وهو الذي كان عليه ودعا إليه سلف هذه الأمة ظاهرا وباطنا، فعلىٰ سبيل المثال لا الحصر؛ جاء في الحديث عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِعُمَرَ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَىٰ أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَزُورُهَا، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ، فَقَالَا لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ؟ فَقَالَتْ: مَا أَبْكِي أَنْ لَا أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ، وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَىٰ الْبُكَاءِ. فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ مَعَهَا[٣]. فرؤية أم أيمن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لأبي بكر وعمر أشعلت نار الشّوق في قلبها للقرآن الكريم، إنه إجلالها وشوقها الوجداني للوحي كما كان ينزل غضا طريا.

وجاء عن الإمام الكرمي المقدسي في بعض مظاهر تعظيم القرآن: «وأجهل النَّاس من جَاءَ إِلَىٰ مَا قصد النَّبِي ﷺ تَعْظِيمه فأضعف فِي النُّفُوس قوىٰ التَّعْظِيم، فَإِن النَّبِي ﷺ قال: **(لَا تسافروا بِالْقُرْآنِ إِلَىٰ أَرض الْعَدو)**، وَيُشِير إِلَىٰ الْمُصحف، وَمنع الإِمَام الشَّافِعِي أَن يحملهُ الْمُحدث بعلاقته تَعْظِيمًا لَهُ»[٤].

---

(١) تفسير الشعراوي (١٦/ ٩٧٩٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٥٣٨)

(٣) صحيح مسلم (١٠٣).

(٤) أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات (٢١١).

المبحث الخامس: ضعف تعظيم القرآن مصدر التعظيم: أسبابه وتجلياته

نستخلص من العنصر السالف أن تعظيم القرآن كلام الله تعالىٰ تعظيم لله جل جلاله، ومن ثم فكلما ضعف تعظيمنا للقرآن الكريم ضعف تعظيمنا لله تعالىٰ والعكس صحيح

المطلب الأول: هجر القرآن استغشاف به وإهمال له:

واقع التعامل مع القرآن الكريم يدل علىٰ ضعف التعظيم له، ومن أجمع التجليات والأدلة علىٰ ذلك، الهجر له الذي قال الله تعالىٰ عنه علىٰ لسان رسوله محمد ﷺ شاكيا هجر قومه للقرآن: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان] قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في سياق تفسيره للآية معدِّدًا بعض أوجه الهجران: «ترك علمه وحفظه. من هجرانه، وترك الإيمان به وتصديقه من هجرانه، وترك تدبره وتفهمه من هجرانه، وترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه، والعدولُ عنه إلىٰ غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه»[1].

ومن الهجران المذكور ما عبر عنه القرآن بـ«نبذ كتاب الله وراء الظهر»، وعدم جعله إماما وقائدا إلىٰ الخيرات وإلىٰ جنات النعيم، وهو مسلك فريق من أهل الكتاب في التعامل مع الوحي المنزل علىٰ نبي الله موسىٰ؛ ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [البقرة] «نبذ الكتاب وراء الظهر» من أبلغ التعابير عن عدم التعظيم لكتاب الله تعالىٰ؛ فقد أعرضوا عنه واستخفوا به؛ استخفوا بكلام الله الذي جاءهم عن طريق نبيهم موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ في التوراة؛ والذي يشهد بصدق نبوة محمد ﷺ. «فَهُوَ مَثَلٌ لِتَرْكِهِمْ وَإِعْرَاضِهِمْ عَنْهُ بِمِثْلِ مَا يُرْمَىٰ بِهِ وَرَاءَ الظَّهْرِ اسْتِغْنَاءً عَنْهُ وَقِلَّةَ الْتِفَاتٍ إِلَيْهِ»[2]. وجاء في (تفسير المنار): «الْمُرَادُ أَنَّهُمْ طَرَحُوا جُزْءًا مِنْهُ وَهُوَ مَا يُبَشِّرُ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَيُبَيِّنُ صِفَاتِهِ وَيَأْمُرُهُمْ بِالْإِيمَانِ بِهِ وَاتِّبَاعِهِ، أَيْ فَهُوَ تَشْبِيهٌ لِتَرْكِهِمْ إِيَّاهُ وَإِنْكَارِهِ بِمَنْ يُلْقِي الشَّيْءَ وَرَاءَ ظَهْرِهِ حَتَّىٰ لَا يَرَاهُ فَيَتَذَكَّرُهُ. وَتَرْكُ الْجُزْءِ مِنْهُ كَتَرْكِهِ كُلِّهِ؛ **لِأَنَّ تَرْكَ الْبَعْضِ يَذْهَبُ بِحُرْمَةِ الْوَحْيِ مِنَ النَّفْسِ وَيُجَرِّئُ عَلَىٰ تَرْكِ الْبَاقِي.** ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ أَيْ: نَبَذُوهُ نَبْذَ مَنْ لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ كِتَابُ اللهِ، يُرِيدُ أَنَّهُمْ بَالَغُوا فِي تَرْكِهِ وَإِهْمَالِهِ»[3].

---

(١) تفسير ابن كثير (٦ / ١٠٨).

(٢) تفسير الرازي (٣/ ٦١٦).

(٣) تفسير المنار (١/ ٣٢٨).

وقد اتبع المسلمون منهج أهل الكتاب في هذا الموضوع وغيره، كما تنبأ بذلك النَّبِيُّ ﷺ، وهجر القرآن الكريم ونبذه وراء الظهر له مظاهر متعددة، من بينها:

١ - حفظ الألفاظ والتنافس في التلاوة شكلا وعادة:

كثيرا ما يتلىٰ القرآن الكريم اليوم في المناسبات وتفتتح به اللقاءات والمؤتمرات وخصصت له إذاعات وقنوات. كما يطبع المصحف الشريف طبعات تلو الطبعات، بل خصصت له في بعض البلاد مطبعات. لكن أثره ضعيف من حيث تنزيل أحكامه في المؤسسات والمعاملات. فأهل زماننا كما قال ابن القيم: «خَلَعُوا نُصُوصَ الْوَحْيِ عَنْ سُلْطَانِ الْحَقِيقَةِ، وَعَزَلُوهَا عَنْ وِلَايَةِ الْيَقِينِ، وَشَنُّوا عَلَيْهَا غَارَاتِ التَّأْوِيلَاتِ الْبَاطِلَةِ. أَنْزَلُوا النُّصُوصَ مَنْزِلَةَ الْخَلِيفَةِ فِي هَذَا الزَّمَانِ، لَهُ السَّكَّةُ وَالْخُطْبَةُ وَمَا لَهُ حُكْمٌ نَافِذٌ وَلَا سُلْطَانٌ»[(١)].

ومما لا مرية فيه؛ أن مما يرجع إليه ذلك؛ أن القرآن أصبح في كثير من الأحيان ضمن الأعراف والعادات صورا وأشكالا وطقوسا. مفرغة من جوهرها ومقاصدها؛ بعد فتور متدرج في الهمم إلىٰ حد تعدي الحدود، ومن ثم العقاب بالغفلة، فالحرص علىٰ الدنيا واتباع الهوىٰ، مما يؤدي إلىٰ إفساد للقلوب ثم تعطيلها عن وظائفها، وإيجاد القابلية لديها للاغترار بزخرف القول من شياطين الانس والجن، بدل التعبد بتلاوة القرآن حق التلاوة، فكان بذلك ما وسمناه بالتعامل الشكلاني مع القرآن، أي العناية بأشكال الكلمات ورسومها وأصواتها. لا مسمياتها وجواهرها. ومن ثم التحول من العبادة إلىٰ العادة. مما يسر انتشار الفجور، وازدواج الشخصية، والنفاق في المجتمعات، فتجد الشخص يتلو القرآن أو يسمعه وحاله مخالف تماما لمقتضيات ما تلاه، وقد أشار الرسول ﷺ إلىٰ بعض هذه النماذج، فعَنْ أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالأُتْرُجَّةِ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ كَالتَّمْرَةِ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلاَ رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الفَاجِرِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ، طَعْمُهَا مُرٌّ وَلاَ رِيحَ لَهَا**»[(٢)]. وفي رواية أخرىٰ: عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ، المنافق بدل الفاجر، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ**»[(٣)].

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٢٩).

(٢) صحيح البخاري (٧٥٦٠).

(٣) صحيح البخاري (٥٤٢٧)، وصحيح مسلم (٢٤٣).

منطوق الحديث يدل علىٰ أن رسول الله ﷺ جعل «طيب الطعم دائرا مع العمل، وجعل طيب الرائحة صفة للتلاوة. والمجدي علىٰ المرء هو عمله، أما التلاوة وحدها فإنها لا تجدي، فالمنافق يتلو القرآن ولكنه في الدرك الأسفل من النار. وقد دل الحديث علىٰ أن العمل بالقرآن درجتان أعلاهما الجمع بين التلاوة والعمل. ودل علىٰ أن لمخالفة أوامره ونواهيه دركته؛ أدناها الجمع بين الإعراض عن حفظه، والإضراب عما دعا إليه. وقد دلت مقابلة القارئ العامل، بالقارئ المنافق علىٰ تسمية من يخالف ما يقرأه منافقا، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار؛ وهم أخس صنوف الكفار. ولكنا نجد من الناس من لا يُختلف في إيمانه ثم هو يخالف ما يقرأه، وقد قال العلماء: إن هذا النوع من المؤمنين يسمىٰ نفاقهم نفاق عمل لا نفاق كفر، ويسمون منافقين مجازا، لأن فيهم خصلة من خصالهم وهي المخالفة للأوامر. فالقارئ إن لم يعمل بما يقرأه فهو منافق حقيقة أو مجازا»[(١)].

فالصنف الأخير الذي أشار إليه ابن باديس رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ؛ من المؤمنين، ويتلو القرآن الكريم، لكن تلاوة عادة شكلية؛ لأنها غير متجلية علىٰ حالهم وسلوكهم، لغياب القصد المهم من إنزال القرآن؛ أي التدبر ومقتضياته. وهذا الحسن البصري يصور لنا بعض أنواع هذا التعامل الشكلاني في كلام بليغ، قائلا: «(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ قَدْ قَرَأَهُ صِبْيَانٌ وَعَبِيدٌ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِتَأْوِيلِهِ وَلَمْ يَأْتُوا الْأَمْرَ مِنْ قِبَلِ أَوَلِهِ)، وقال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص]، وَمَا تَدَبُّرُ آيَاتِهِ إِلَّا اتِّبَاعُهُ بِعِلْمِهِ، وَاللهِ مَا هُوَ بِحِفْظِ حُرُوفِهِ وَإِضَاعَةِ حُدُودِهِ، حَتَّىٰ أَنَّ أَحَدَهُمْ لَيَقُولُ: وَاللهِ لَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ كُلَّهُ وَمَا أُسْقِطُ مِنْهُ حَرْفًا وَاحِدًا وَقَدْ أَسْقَطَهُ كُلَّهُ، مَا تَرَىٰ لَهُ فِي الْقُرْآنِ مِنْ خُلُقٍ وَلَا عَمَلٍ، وَحَتَّىٰ أَنَّ أَحَدَهُمْ لَيَقُولُ: وَاللهِ إِنِّي لَأَقْرَأُ السُّورَةَ فِي نَفَسٍ وَاحِدٍ. وَاللهِ مَا هَؤُلَاءِ بِالْقُرَّاءِ وَلَا الْعُلَمَاءِ، وَلَا الْحُكَمَاءِ، وَلَا الْوَرَعَةِ، وَمَتَىٰ كَانَ الْقُرَّاءُ يَقُولُونَ مِثْلَ هَذَا؟ لَا كَثَّرَ اللهُ فِي الْمُسْلِمِينَ مِنْ هَؤُلَاءِ»[(٢)]. رغم عنايتهم بالحفظ عن ظهر قلب؛ بحفظهم للقرآن من حيث ضبط حروفه وعدم إسقاط واحد منها، وعنايتهم بالصوت؛ كقراءة السورة في نفس واحد. وهي أشكال يتم الحرص عليها اليوم، فلا تأثير يذكر علىٰ الأخلاق والمعاملات. لأن وجدان الإنسان الذي هو آلة التدبر شبه معطل.

---

(١) مجالس التذكير من حديث البشير النذير (٢٠٤، ٢٠٥)

(٢) مصنف عبد الرزاق (٥٩٨٤)، وأخلاق أهل القرآن (١٠٠)، وفضائل القرآن (٢٤٧)، فهم القرآن (٢٧٥، ٢٧٦) والكشاف (٤/ ٩٠)، وروح البيان (٨/ ٢٥)، وتفسير ابن كثير (٧/ ٦٤).

وقد تنبه سلف هذه الأمة قبل الحسن وبعده لهذه الأمراض، فحذروا منها ومن أسبابها، فمن الصحابة الكرام ابن أم عبد الذي أوصىٰ الرسول بسماع القرآن منه والاقتداء به في تلاوته، فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ ابْنِ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: قَرَأْتُ المُفَصَّلَ اللَّيْلَةَ فِي رَكْعَةٍ، فَقَالَ: **هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ، لَقَدْ عَرَفْتُ النَّظَائِرَ الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرُنُ بَيْنَهُنَّ، فَذَكَرَ عِشْرِينَ سُورَةً مِنَ المُفَصَّلِ، سُورَتَيْنِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ**[١]. وفي رواية لـ (مسلم) فيها زيادة مرتبطة بالباب: عَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ نَهِيكُ بْنُ سِنَانٍ إِلَىٰ عَبْدِ اللهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ كَيْفَ تَقْرَأُ هَذَا الْحَرْفَ؟ أَلِفًا تَجِدُهُ أَمْ يَاءً (مِنْ مَاءٍ غَيْرِ أَسِنٍ)، أَوْ (مِنْ مَاءٍ غَيْرِ يَاسِنٍ)؟ قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: **وَكُلَّ الْقُرْآنِ قَدْ أَحْصَيْتَ غَيْرَ هَذَا؟** قَالَ: إِنِّي لَأَقْرَأُ الْمُفَصَّلَ فِي رَكْعَةٍ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: **هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ، إِنَّ أَقْوَامًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ فَرَسَخَ فِيهِ نَفَعَ**[٢]. وقد استقىٰ ذلك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ممّا تعلمه من رسول الله ﷺ، كحديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: أَتَىٰ رَجُلٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِالْجِعْرَانَةِ مُنْصَرَفَهُ مِنْ حُنَيْنٍ، وَفِي ثَوْبِ بِلَالٍ فِضَّةٌ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْبِضُ مِنْهَا، يُعْطِي النَّاسَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، اعْدِلْ، قَالَ: «**وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ؟ لَقَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ**»، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دَعْنِي، يَا رَسُولَ اللهِ فَأَقْتُلَ هَذَا الْمُنَافِقَ، فَقَالَ: «**مَعَاذَ اللهِ، أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي، إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْهُ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»[٣]. وفي رواية أخرىٰ: عن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ، قَالَ: «**إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ رَطْبًا، لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»[٤]. في الرِّوايتين عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نهي عن الهذِّ في التِّلاوة، قال النَّوويُّ في معناه والحكم المستنبط من الحديث: «وَهُوَ شِدَّةُ الْإِسْرَاعِ وَالْإِفْرَاطِ فِي الْعَجَلَةِ، فَفِيهِ النَّهْيُ عَنِ الْهَذِّ، وَالْحَثُّ عَلَىٰ التَّرْتِيلِ وَالتَّدَبُّرِ. وَبِهِ قَالَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ»[٥].

وقَالَ فِي (شَرْحِ الْمُهَذَّبِ): «وَاتَّفَقُوا عَلَىٰ كَرَاهَةِ الْإِفْرَاطِ فِي الْإِسْرَاعِ. قَالُوا: وَقِرَاءَةُ جُزْءٍ بِتَرْتِيلٍ أَفْضَلُ مِنْ قراءة جزأين فِي قَدْرِ ذَلِكَ الزَّمَانِ بِلَا تَرْتِيلٍ. قَالُوا: وَاسْتِحْبَابُ التَّرْتِيلِ لِلتَّدَبُّرِ وَلِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَىٰ الْإِجْلَالِ وَالتَّوْقِيرِ وَأَشَدُّ تَأْثِيرًا فِي الْقَلْبِ»[٦].

---

(١) صحيح البخاري (٧٧٥)، وصحيح مسلم (٨٢٢).
(٢) صحيح مسلم (٢٧٥).
(٣) صحيح مسلم (١٤٢).
(٤) صحيح البخاري (١٤٤).
(٥) شرح النووي علىٰ مسلم (٦/ ١٠٥).
(٦) الإتقان في علوم القرآن (١/ ٣٦٨).

وفي رواية (مسلم) الثانية أردف النَّهي عن الهذِّ بقوله: «**إِنَّ أَقْوَامًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ فَرَسَخَ فِيهِ نَفَعَ**». قال النووي: «مَعْنَاهُ أَنَّ قَوْمًا لَيْسَ حَظُّهُمْ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا مُرُورُهُ عَلَىٰ اللِّسَانِ؛ فَلَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ لِيَصِلَ قُلُوبَهُمْ، وليس ذلك هو المطلوب بل المطلوب تعقله وَتَدَبُّرُهُ بِوُقُوعِهِ فِي الْقَلْبِ»[(١)].

فكأنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بين لنا أن الهذّ في التلاوة حوّلها إلىٰ تلاوة شكلية، لا تتجاوز المرور علىٰ اللسان لتنتقل إلىٰ الوجدان، للتدبر والاهتداء بالقرآن.

ومن الجوانب الشكلية التي أشار إليها الحديث؛ العناية بالأداء الصوتي وتحقيق الحروف علىٰ حساب المقاصد، وذلك عندما سئل ابن مسعود عن قراءة همزة (آسن) من قوله تعالىٰ: ﴿مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ [محمد: ١٥]: أَلِفًا تَجِدُهُ أَمْ يَاءً: مِنْ مَاءٍ غَيْرِ أَسِنٍ، أَوْ: مِنْ مَاءٍ غَيْرِ يَاسِنٍ؟ فأنكر علىٰ السَّائل سؤاله لارتباطه بالجانب الشَّكلي. ودليل الإنكار قوله له: «**وَكُلَّ الْقُرْآنِ قَدْ أَحْصَيْتَ؟**»، يقول الإمام النّوويُّ: «(كل) مفعول مقدم لأحصيت والكلام علىٰ الاستفهام للتبكيت، لأنه فهم أن الرجل غير مسترشد وإنما هو متفيهق يدعي العلم والفقه، ولو فهم ابن مسعود أنه مسترشد لأجابه»[(٢)].

كما يفهم الاهتمام بالشكل مما له تعلق بالصوت والفم والحنجرة. كذلك من قوله: «**لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ أو حَنَاجِرَهُم**» وفي ذلك يقول القاضي عياض: «وقوله: **(يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم)**: فيه تأويلان، أي: لم تفقهه قلوبهم ولا انتفعوا بما تلوا منه، ولا لهم فيه حظ سوىٰ تلاوة الفم والحنجرة والحلق، إذ بهما تقطيع الحروف. والتأويل الآخر: أنه لا يصعد لهم عمل ولا تلاوة ولا تتقبلُ»[(٣)].

ويقول الإمام الطيبي: «فيه وجوه أحدها: أنه لا يتجاوز أثر قراءتهم عن مخارج الحروف والأصوات، ولا يتعدىٰ إلي القلوب والجوارح، فلا يعتقدون وفق ما يقتضي اعتقادًا، ولا يعملون بما يوجب عملًا. وثانيهما: أن قراءتهم لا يرفعها الله ولا يقبلها، وكأنها لم تتجاوز حلوقهم. وثالثها: أنهم لا يعملون بالقرآن فلا يثابون علي قراءته، ولا يحصل لهم غير القراءة»[(٤)].

---

(١) شرح النووي علىٰ مسلم (٦/ ١٠٥).
(٢) فتح المنعم (٤/ ١٨).
(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٣/ ٦٠٩).
(٤) شرح المشكاة للطيبي (٨/ ٢٥٠٢٢٥٠٣)

والكثير اليوم يتخذ القرآن عملا ليتلذذ المستمعون بحلاوة نغمات القارئ، بينما هو للعمل والاجتهاد والجهاد. فتقام المسابقات والمناسبات والتجمعات لحفظ القرآن وتجويده ومدىٰ إعمال المقامات الموسيقية وما شابه ذلك –علىٰ أهميته إلا أنه يحصل مع إغفال المقاصد من هذا الكتاب العظيم وأسراره. فلا تسقط حروفه ولا رسومه ولكن تسقط أحكامه وتنزله في واقع حال الناس. فتصبح التلاوة والحفظ. مجالا للتنافس علىٰ المراتب والجوائز والتباهي. أورد النووي في التبيان قولا عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مما جاء فيه: «يا حملة القرآن، أو قال: يا حملة العلم اعملوا به. وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم يخالف عملهم علمهم، وتخالف سريرتهم علانيتهم، يجلسون حلقا **يباهي بعضهم بعضا**، حتىٰ أن الرجل ليغضب علىٰ جليسه أن يجلس إلىٰ غيره ويدعه، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلىٰ الله تعالىٰ»[(١)].

ويقول الشيخ ابن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ في شأن تباهي القراء في زمانه: «وكثيرا ما يقصد قراء زماننا المباهاة بأصواتهم والفخر بحفظهم. فليحذر من يجد هذا من نفسه، وليعلم أن كتاب الله هداية تخشع لها القلوب، وتستسلم الجوارح. وكثير من قراء زماننا لا يقصدون من حفظه إلا التوسل به للتلاوة علىٰ الموتىٰ بأجرة ونحو ذلك من الأغراض الدنيوية المحضة»[(٢)].

هذا التعامل لعمري جفاء وأي جفاء في حق القرآن الكريم كلام رب العالمين، وقد نبه الرسول ﷺ علىٰ ذلك فقال: «اقرءوا القرآن واعملوا به ولا تجفوا عنه ولا تغلوا فيه ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به»[(٣)].

والمظاهر التالية أشير إليها باختصار شديد لارتباطها بما سلف:

١- الكثير يستعمله للتبرك والقراءة في المقابر وفي المآتم. بينما الكتاب جاء للحياة به.
٢- البعض يتسول ويسترزق به. بينما هو جاء للعزة والكرامة.
٣- البعض جعله للسحر والشعوذة. بينما الكتاب جاء بالعلم الحضارة والعمران.

وقد شجعت الدول الاستعمارية ذلك لأنه يسهم في سيطرتها وخدمة مصالحها «وقد ذكر زويمر أن الاعتقاد بالتمائم وتأثيرها يؤخر أحوال الشعوب الإسلامية ويزيدها شقاء»[(٤)].

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن (٣٦).
(٢) مجالس التذكير من حديث البشير النذير (٢٠٦).
(٣) أخرجه أحمد (١٥٥٦٨)، والبيهقي في (شعب الإيمان: ٢٦٢٤)، والطبراني في (الأوسط: ٢٥٧٤)، قال الشيخ الألباني (صحيح الجامع: ١١٦٨).
(٤) التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته (٨٦).

المطلب الثاني: أسباب الهجر وضعف التعظيم

١ - تجريد القلب أداة الإبصار عن وظيفته:

الإبصار المرام هو الوارد في قول الحق سبحانه: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام]، وقال تعالىٰ: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٣]، أي: هذا القرآن العظيم[(١)]. ظاهر نصِّ الأنعام يدلّ علىٰ أن الإبصار والعمىٰ ليس المقصود بهما العين الجارحة، وإنما المقصود عين قلب الإنسان، واستعمل البصر في اللغة للدلالة علىٰ القلب، يقول الراغب: «البَصَر يقال للجارحة الناظرة. وللقوّة التي فيها، **ويقال لقوة القلب المدركة: بَصِيرَة وبَصَر**. وجمع البصر أَبْصَار، وجمع البصيرة بَصَائِر»[(٢)]. ويؤكِّد ذلك ويدلّ عليه قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج]، فالقلب أداة عقل الأشياء وإدراكها والاعتبار بها، ومن ثم الاتعاظ والتأثر الوجداني وما يترتب علىٰ ذلك من أعمال ظاهرية. ومن ثم فبصلاحه يصلح الجسد كله وبفساده يفسد الجسد كله.

نظرا لهذه الأهمية الكبرىٰ للقلب سعىٰ شياطين الإنس والجن إلىٰ إفساده وتجريده من وظيفته عبر إغراقه في الماديات والذنوب والمعاصي. التي تصبح رانا علىٰ القلوب فلا تعقل ولا تبصر آيات الله تعالىٰ، وذلك ضمن مخططات رهيبة، مسترشدين وعاملين بمقتضىٰ قول الله تعالىٰ علىٰ لسان الشيطان الرجيم: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف].

٢ - التخطيط للإبعاد عن القرآن

لما علم الذين كفروا من أهل الكتاب بصدق الرسالة وكانوا علىٰ يقين بذلك، بل يعرفون رسول الله كما يعرفون أبناءهم، ويعرفون أن المسلمين علىٰ سبيل الحق والعزة والكرامة في

---

(١) «قَوْلُهُ: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٣] أَصْلُ الْبَصِيرَةِ: الْإِبْصَارُ، وَلَمَّا كَانَ الْقُرْآنُ سَبَبًا لِبَصَائِرِ الْعُقُولِ فِي دَلَائِلِ التَّوْحِيدِ وَالنُّبُوَّةِ وَالْمَعَادِ، أَطْلَقَ عَلَيْهِ لَفْظَ الْبَصِيرَةِ، تَسْمِيَةً لِلسَّبَبِ بِاسْمِ الْمُسَبَّبِ» (تفسير الرازي ١٥/ ٤٣٩).

(٢) المفردات في غريب القرآن (بصر).

الدنيا والفوز بالنعيم والرضوان في الآخرة، ونظرا للحقد والغيظ. والصفات الذميمة التي اتصفوا بها، خططوا لإبعادنا عن وحي ربنا تعالىٰ، وجعلنا متبعين لملتهم، مرتبطين بحضارتهم. خططوا من أجل أن نسلك مسلكهم في نبذ كتاب الله وراء الظهر حسدا من عند أنفسهم كما قال تعالىٰ: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ [البقرة: ١٠٩]، توسلوا لذلك بمؤسسات الصهيونية العالمية والتنصير والتبشير والاستشراق. وقد كشف الحاقدون منهم والكافرون عن مخططاتهم وأعلنوا ذلك صراحة في القديم والحديث[١]، في كتاباتهم ومحاضراتهم واجتماعاتهم ومؤتمراتهم لهذا الشأن: في أحد الاجتماعات يقول رئيس الوزارة البريطانية غلادستون: «ما دام هذا القرآن موجودًا فلن تستطيع أوروبا السيطرة علىٰ الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان»[٢].

ويقول الحاكم الفرنسي في الجزائر بمناسبة مرور مائة عام علىٰ احتلالها: «يجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم»[٣].

ويقول المبشر ويليم جيفورد بلكراف: «متىٰ توارىٰ القرآنُ ومدينة مكة من بلاد العرب؛ أمكننا أن نرىٰ العربي يتدرج في سبيل الحضارة الغربية التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه»[٤].

وقصدهم بإزالة القرآن الكريم من وجود المسلمين، وجعله يتوارىٰ ليس عن الأنظار في صورة مصاحف أو عن الأسماع في شكل تراتيل. وإنما القصد إخراج القرآن من قلوب المسلمين وتصوراتهم وأفكارهم وحياتهم وسلوكهم. ومن ثم التقت أهدافهم في التشكيك في الغيبيات وضمنها الوحي من حيث نسبته إلىٰ الله تعالىٰ، يقول المبشر تاكلي: «يَجِبُ أَنْ يُسْتَخْدَمَ كِتَابُهُمْ (أَيْ القُرْآنُ

(١) من عصر بني أمية مثلا فقد أثار يوحنا الدمشقي الذي عاش في كنفهم شبهات حول القرآن الكريم، يقول د. عبد الراضي محمد عبد المحسن: «يمكننا القول بأن جدليات يوحنا ضد القرآن هي الأهم في تاريخ الجدل التنصيري ضد القرآن، حيث وضع الدمشقي آراءه في قوالب جدلية مكثفة، أصبحت ركيزة الجدل التنصيري في كل أدواره ومراحله التالية، فقد ردد جميع المجادلين بعده بعض أو كلّ قوالب الدمشقي: (الإسلام هرطقة مسيحية – القرآن تلفيق من العهد القديم والعهد الجديد – تعلم النبي ﷺ من بحيرا الراهب – المسلمون سراسنة)». الغارة التنصيرية علىٰ أصالة القرآن الكريم، (٢١).

(٢) الإسلام علىٰ مفترق الطرق (٤١).

(٣) قوىٰ الشر المتحالفة (٢٨).

(٤) قوىٰ الشر المتحالفة (٢٨)، وجذور البلاء (٢٠١)، والغارة علىٰ العالم الإسلامي (٩٣، ٩٤).

الكَرِيمُ)، وَهُوَ أَمْضَىٰ سِلاَحٍ فِي الإِسْلاَمِ، ضِدَّ الإِسْلاَمِ نَفْسِهِ لِنَقْضِي عَلَيْهِ تَمَامًا. يَجِبُ أَنْ نُرِي هَؤُلاَءِ النَّاسِ أَنَّ الصَّحِيحَ فِي القُرْآنِ لَيْسَ جَدِيدًا، وَأَنَّ الجَدِيدَ فِيهِ لَيْسَ صَحِيحًا»[١] فعملوا علىٰ إثارة بعض الشبهات عن الإسلام والقرآن، كما نصح بذلك زويمر في كتابه «العالم الإسلامي اليوم» كمشكلة الطلاق والتعدد، وإرث المرأة ولماذا يكون نصف الرجل. كما أوصىٰ بالعمل علىٰ أن يجتهد المبشرون في إيجاد أصدقاء لهم من المسلمين يقومون بنشر هذه الأفكار بين المسلمين[٢].

«وفي مجلس تنصيري أمام جمع من المسلمين، أراد القس زويمر بتجربة عملية أن يلبس علىٰ الحاضرين قناعتهم في فرضية ركن من أركان الإسلام، فأتىٰ بمجسم كرة أرضيّة، وسلَّط عليه ضوءًا ليبرهن أنَّ صيامَ شهرِ رمضانَ لا يمكن أن يكون تشريعًا من عند الله تعالىٰ، لأنه يتعذر أداؤه في بعض البلاد. وفي مؤتمر لكنو التنصيري عام ١٩١١م كرر زويمر طريقة طرح الشبهات، وفي هذه المرة هاجم القرآن الكريم فقال: (إنّ تأويل سورة الكهف وسورة النساء علىٰ مقتضىٰ العقل أمر مستحيل)»[٣].

وبما سلف وغيره وعبر الكثير من آلياتهم استطاعوا التأثير في الكثير من المسلمين بنوع من التدرج ومن ثم إضعاف اعتقادهم في القرآن الكريم أصل التصورات والأفكار الإسلامية، «إذ الضعف التدريجي في الاعتقاد بالفكرة الإسلامية، وما يتبع هذا الضعف من الانتقاص والاضمحلال الملازم له سوف يُفْضِي بعد انتشاره في كل الجهات إلىٰ انحلال الروح الدينية من أساسها لا إلىٰ نشأتها بشكل آخر»[٤].

وبعض مظاهر هذا الانحلال أشار إليها زويمر أيضا في أحد المؤتمرات التنصيرية معلنا عن نتائج أعمال المنصرين، فقال: «لقد أعددتم في ديار الإسلام شبابا لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء طبقا لما أراده الاستعمار. لا يهتم للعظائم ويحب الراحة والكسل، ولا يصرف همه في دنياه إلا للشهوات. فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وإذا تبوأ أسمىٰ المراكز فللشهوات، وفي الشهوات يجود بكل شيء»[٥].

---

(١) التبشير والاستعمار في البلاد العربية (٤٠).
(٢) الاستشراق والتبشير (١٢٧).
(٣) التنصير عبر الخدمات التفاعلية لشبكة المعلومات العالمية (١٩٦).
(٤) الغارة علىٰ العالم الإسلامي، لألفريد لوشاتليه (١٩).
(٥) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي (٦٣)، وجذور البلاء (٢٧٦)، وقوىٰ الشر المتحالفة (١٣٨)، والاستشراق والتبشير (١٢٩).

٣- القابلية للدخول في مخططات أهل الكتاب والتشبه بهم:

واقع حال أمة الإسلام كما سلف يشهد أنها علىٰ غير صبغة الله تعالىٰ، وعلىٰ غير هدي كتابه العظيم، بعد طول الأمد وقسوة القلوب، وتلك سنة من سنن الله عز وجل في المنذَرين، فقد «عُهِدَ فِي سِيرَةِ الْبَشَرِ أَنَّ الْأُمَّةَ تُوعَظُ وَتُنْذَرُ، فَتَتَّعِظُ وَتَتَدَبَّرُ، فَإِذَا طَالَ عَلَيْهَا الْأَمَدُ بَعْدَ النَّذِيرِ تَقْسُو الْقُلُوبُ، وَيَذْهَبُ أَثَرُ الْمَوْعِظَةِ مِنَ الصُّدُورِ، وَتَفْسُقُ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَتَنْسَىٰ مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهِ مِمَّا أُنْذِرَتْ بِهِ، أَوْ تُحَرِّفُهُ عَنْ مَوْضِعِهِ بِضُرُوبِ التَّأْوِيلِ، وَزُخْرُفِ الْقَالِ وَالْقِيلِ»[1]. فكانت بذلك أمتنا علىٰ سَنن الضالين المضلين من أهل الكتاب، فوُجدت القابلية لدىٰ الكثير من المسلمين للاستجابة لإضلالهم، كما سبق تنبيه رب العالمين، قال تعالىٰ: ﴿۞أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦﴾ [الحديد]، فتراكم الأمراض علىٰ القلوب يؤدي إلىٰ موتها وقسوتها، ومن ثم عدم انفعالها لذكر الله تعالىٰ وتلاوة القرآن الكريم، ومن ثم عاتب الله تعالىٰ المؤمنين قائلا: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ بما هو كلام ذي الجلال والجمال، فلا أعظم ولا أجمل ولا أحسن منه، إذا تلقته آذان القلوب وجلت؛ فتجلىٰ ذلك علىٰ حال الجسد كالأعين والجلود، كما قال الله جل جلاله: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨٣﴾ [المائدة]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣﴾ [الزُّمَر]. وإذا لم يكن التلقي كذلك فلا انفعال ولا تأثير، الأمر الذي يؤول إلىٰ البعد عن الله تعالىٰ وضعف تعظيمه. يقول ابن كثير: «قَوْلُهُ: ﴿وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ [الحديد: ١٦] نَهَىٰ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِالَّذِينَ حَمَلُوا الْكِتَابَ قَبْلَهُمْ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، لَمَّا تَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ بَدَّلُوا كِتَابَ اللهِ الَّذِي بِأَيْدِيهِمْ، **وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا وَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَأَقْبَلُوا عَلَىٰ الْآرَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالْأَقْوَالِ الْمُؤْتَفِكَةِ، وَقَلَّدُوا الرِّجَالَ فِي دِينِ اللهِ، وَاتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ**، فَلَا يَقْبَلُونَ مَوْعِظَةً، وَلَا تَلِينُ قُلُوبُهُمْ بِوَعْدٍ وَلَا وَعِيدٍ، فَقُلُوبُهُمْ فَاسِدَةٌ، وَأَعْمَالُهُمْ بَاطِلَةٌ. كَمَا قال تعالىٰ: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ [المائدة:

(١) تفسير المنار (١/ ٣١١)

١٣]، أَيْ: فَسَدَتْ قُلُوبُهُمْ فَقَسَتْ وَصَارَ مِنْ سَجِيَّتِهِمْ تَحْرِيفُ الْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَتَرَكُوا الْأَعْمَالَ الَّتِي أُمِرُوا بِهَا، وَارْتَكَبُوا مَا نهو عَنْهُ؛ وَلِهَذَا نَهَىٰ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِهِمْ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأُمُورِ الْأَصْلِيَّةِ وَالْفَرْعِيَّةِ»[١].

ويقول الشيخ السِّعديُّ في سياق التحذير السالف؛ رابطا القلوب بحاجتها الدائمة إلىٰ القرآن؛ لتذكر الله تعالىٰ فتعظمه: «﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ أي: ولا يكونوا كالذين أنزل الله عليهم الكتاب **الموجب لخشوع القلب والانقياد التام، ثم لم يدوموا عليه، ولا ثبتوا**، بل طال عليهم الزمان واستمرت بهم الغفلة، فاضمحل إيمانهم وزال إيقانهم، ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ **فالقلوب تحتاج في كل وقت إلىٰ أن تذكر بما أنزله الله**، وتناطق بالحكمة، ولا ينبغي الغفلة عن ذلك، فإن ذلك سبب لقسوة القلب وجمود العين»[٢].

المطلب الثالث: من نتائج الهجر وضعف التعظيم

من أخطر النتائج الإعراض عن الوحي وسلوك مسلك اليهود والنصارىٰ، واتباع الأهواء بالإقبال علىٰ الدنيا وملذاتها والإدبار عن الآخرة ونعيمها وعذابها؛ فتقسو القلوب ويضعف إبصارها وخشوعها فلا الآذان تسمع لكلام ذي الجلال، ولا القلوب تبصر وتخشع له؛ لفقد الشروط، فالقرآن –كما قال ابن القيم:»أَسْمَعَ وَاللهِ لَوْ صَادَفَ آذَانًا وَاعِيَةً، وَبَصَّرَ لَوْ صَادَفَ قُلُوبًا مِنَ الْفَسَادِ خَالِيَةً، لَكِنْ عَصَفَتْ عَلَىٰ الْقُلُوبِ هَذِهِ الْأَهْوَاءُ فَأَطْفَأَتْ مَصَابِيحَهَا، وَتَمَكَّنَتْ مِنْهَا آرَاءُ الرِّجَالِ فَأَغْلَقَتْ أَبْوَابَهَا وَأَضَاعَتْ مَفَاتِيحَهَا، وَرَانَ عَلَيْهَا كَسْبُهَا فَلَمْ تَجِدْ حَقَائِقُ الْقُرْآنِ إِلَيْهَا مَنْفَذًا، وَتَحَكَّمَتْ فِيهَا أَسْقَامُ الْجَهْلِ فَلَمْ تَنْتَفِعْ مَعَهَا بِصَالِحِ الْعَمَلِ»[٣].

بعد نبذ كتاب الله وراء الظهور، أسوة بأهل الكتاب، كان ما كان من ذلة وهوان، كما قال تعالىٰ عنهم: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾[البقرة: ٦١]، فحقٌّ علىٰ المتبعين من المسلمين اليوم سنن أهل الكتاب قول الله عز وجل وسنته؛ من الذلة والمسكنة والترتيب في مؤخرة الركب الحضاري في هذه الدار، والخزي والخسران ويوم حساب بني الإنسان، إن لم يعجلوا بالتوبة النصوح، جاء في الحديث: «**القرآن شافع مشفع وماحل مصدق، من جعله أمامه قاده إلىٰ الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلىٰ النار**»[٤].

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ١٩٢٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٨٤٠).

(٣) مدارج السالكين (١/ ٢٨).

(٤) صحّحه الألباني في (الجامع الصغير: ٤٤٤٣).

ومن أخطر النتائج الاستخفاف به وإثارة الشبهات حوله والتشكيك فيه. ولا تخفىٰ عاقبة ذلك في الدنيا والآخرة، قال القاضي عياض: «وأَعْلَم أن مِن اسْتَخَفّ بالْقُرْآن أَو الْمُصَحف أَو بشيء مِنْه، أَو سَبَّهُما أَو جَحَدَه أَو حَرْفًا مِنْه أَو آيَة، أَو كَذَّب بِه أَو بشيء مِنْه أَو كَذّب بشيء مِمَّا صُرّح بِه فِيه من حُكْم أَو خَبَر، أَو أَثْبَت مَا نَفاه أَو نَفَىٰ مَا أَثْبَتَه عَلَىٰ عِلْم مِنْه بِذَلِك، أَو شك في شيء من ذَلِك؛ فَهُو كَافِر عِنْد أَهْل الْعِلْم بإجْماع، قَال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فُصِّلَت]»[1].

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ (٢/ ٣٠٤).

المبحث السادس: سبيل العلاج والعودة. فالارتقاء لموقع الخيرية

سبل علاج ضعف التعظيم للقرآن الكريم ولله العظيم؛ عموما يمكن إجمالها في المجاهدة بالمعنىٰ الرباني، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت]، وذلك ببذل الجهد والوسع لتحقيق الرغبة أولا في السفر القلبي والعقلي إلىٰ الله تعالىٰ، ثم ارتقاء المراكب المناسبة والمؤهلة للهداية لسبيل الله الجليل الجميل سبحانه، وأفضلها وأقواها وآمنها. كلامه جل جلاله، ومن ثم يمكن الاقتصار في تفصيل ما أجملنا في تعلقه بالقرآن الكريم إلىٰ مجاهدتين اثنتين: المجاهدة العلمية والمجاهدة العملية.

١- المجاهدة العلمية:

البدء يكون بطلب العلم؛ الذي به يتم تجديد الإيمان واليقين بأن القرآن كلام رب العالمين، فكلما كان الإيمان بالكتاب وبغيره من أركان الإيمان أعمق؛ كانت التلاوة للكتاب أحق، وكان التفهم والتدبر له أدق، وكان العمل بمقتضاه أصدق وأوثق، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٢١﴾ [البقرة].

والمؤمنون مطلوب منهم تجديد الإيمان بكتاب الله تعالىٰ حتىٰ لا يبلىٰ، وتقويته حتىٰ لا يضعف، والثبات عليه حتىٰ لا تزل الأقدام، وتحويله من إيمان اللسان والشكل والعادة، إلىٰ إيمان القلب والفعل والعبادة، لتحقيق التعظيم للكلام ولصاحب الكلام، ومن ثم خشيته تعالىٰ. والارتقاء في هذه المدارج يكون حسب الاجتهاد في العلم بالقرآن وبما في القرآن باعتباره أصلا لكل العلوم، قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ٢٨﴾ [فاطر].

وعبر العلم بالقرآن نعرف القرآن والمتكلم بالقرآن، فقد أشرنا إلىٰ أن الله تعالىٰ وصف القرآن بأوصاف كثيرة، كالهدىٰ والبيان والنور والروح والفرقان والذكر وأحسن الحديث. وكل منها يحتاج إلىٰ دراسة وبحث مستقل مفصل نعلل من خلاله وصف القرآن بهذا الوصف ونربط بينه وبين المتكلم سبحانه بكلام هذا وصفه.

ويندرج تحت المجاهدة العلمية؛ رد الشبهات التي يلقيها أولياء الشيطان حول القرآن الكريم، بالتزيين والزخرفة في القول، متسلحين بالسحر الإعلامي والكتب والمحاضرات.

لإفساد المفاهيم والتصورات، ومن ثم فمجاهدة هذه الشبهات والمفاهيم والمعاني الفاسدة تكون عبر مصدر الهدىٰ والعلم؛ عبر الفرقان العصا التي تبطل سحر السحرة، كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [الفرقان]، أي: بالقرآن كما علم عند كثير من المفسرين.

٢/ المجاهدة العملية:

وذلك بمجاهدة النفس لتهيئتها لاستقبال كلام الله جل جلاله، والاجتهاد لتحقيق الإحسان في التعبد بالتلاوة، التي تترتب عليها التزكية والتخلق بالقرآن الكريم. التلاوة بمنهج التلقي علىٰ أنه حياة وذكر وشفاء لأدواء القلوب حتىٰ تشف لتبصر باعتبارها آلة التدبر والإبصار.

وفي معنىٰ التلقي يقول الشيخ فريد الأنصاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن تتلقىٰ القرآن معناه: أن تصغي إلىٰ الله يخاطبك؛ فتبصر حقائق الآيات وهي تتنزل علىٰ قلبك روحا، وبهذا تقع اليقظة والتذكر ثم يقع التخلق بالقرآن. أن تتلقىٰ القرآن معناه أيضا أن تتنزل الآيات علىٰ موطن الحاجة من قلبك ووجدانك، كما يتنزل الدواء علىٰ موطن الدَّاء[1]. كما تلقىٰ آدم من ربِّه كلمات فتاب عليه. وتحصل هذه المقاصد في الذكر بالقرآن قياما، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ القَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ المُقَنْطِرِينَ**»[2].

نختم الكلام بالقول: نحن في زمان قد يصدق عليه ما قيل: «هذا زمان الغيم والرؤية فيه عسيرة» ومن ثم وجب التسلح بأسباب تقوية الرؤية، لإزالة الغشاوة عن الأمة، ولن يكون ذلك إلا عبر القرآن باعتباره بصائر، ومن ثم وجب أخذه بقوة، ورؤية كل شيء من خلاله، بدءا بربنا العظيم؛ ليتحقق منا له التعظيم. فبذلك يصح التصور بإذن الله ويصلح القلب، ويستقيم السلوك. والمساحة المتاحة لا تسمح بالمزيد، فهذا غيض من فيض ممّا يسرَّ الله من التيسير وقدر من التقدير، والله من وراء القصد، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) مجالس القرآن من التلقي إلىٰ التزكية، لفريد الأنصاري: ٣٨.

(٢) سنن أبي داود (١٣٩٨)، وصححه الألبانيّ في (صحيح الجامع الصغير: ٦٤٣٩).

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

١- الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٢- أخلاق أهل القرآن لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي، حققه وخرج أحاديثه: الشيخ محمد عمرو عبد اللطيف بإشراف المكتب السلفي لتحقيق التراث، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

٣- الإسلام علىٰ مفترق الطرق، محمد أسد، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

٤- إكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم للقاضي عياض بن موسىٰ بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل، المحقق: الدكتور يحْيَىٰ إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط١/ ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

٥- إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا القرآن الكريم لأبي السعود، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٦- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن تأليف الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، دار الفكر بيروت، ط/ ١٤١٥هـ١٩٩٥م.

٧- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي

٨- المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١ ١٤١٨هـ

٩- تاج العروس من جواهر القاموس للإمام محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضىٰ الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي، دراسة وتحقيق علي شبري، دار الفكر بيروت، ط١/ ١٤١٤هـ١٩٩٤م.

١٠-التبيان في آداب حملة القرآن، لأبي زكريا محيي الدين يحيىٰ بن شرف النووي حققه وعلق عليه: محمد الحجار، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، ط٢، ١٤١٤هـ ١٩٩٤ م

١١-أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، لعلي محمد جريشه محمد شريف الزيبق، دار الوفاء، ط٣، ١٣٩٩هـ١٩٧٩م.
١٢-الاستشراق والتبشير، لمحمد السيد الجليند، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.
١٣-التبشير والاستعمار في البلاد العربية (عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلىٰ اخضاع الشرق للاستعمار الغربي) للدكتور مصطفىٰ خالدي الدكتور عمر فروخ، نشر المكتبة العصرية صيدا – بيروت، ط٥، ١٩٧٣.
١٤-التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الطبعة التونسية دار سحنون للنشر والتوزيع تونس ط ١٩٩٧م.
١٥-تفسير الشعراوي، الشيخ محمد متولي الشعراوي، أخبار اليوم، قطاع الثقافة.
١٦-تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ١٩٩٠م.
١٧-تفسير القرآن العظيم للإمام أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢/ ١٤٢٠هـ١٩٩٩م.
١٨-التنصير، مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، لعلي بن إبراهيم الحمد النملة، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، يطلب من مكتبة العبيكان الرياض، ط، ١٤١٣هـ ١٩٩٣.
١٩-التّنصير عبر الخِدمات التفاعليّة لشبكة المعلومات العالميّة دراسة عقديّة، إعداد: محمد بن موسىٰ المجممي، إشراف: عبد الله بن عمر العبد الكريم، رسالة ماجستير كلية التربية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤٣٣هـ.
٢٠-تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق الأستاذ عبد العظيم محمود، مراجعة محمد النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب القاهرة.
٢١-التوقيف علىٰ مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق د محمد رضوان الداية، دار الفكر بيروت، ودار الفكر المعاصر دمشق، ط١/ ١٤١٠هـ.
٢٢-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق مؤسسة الرسالة، ط١/ ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠ م

٢٣-الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش دار الكتب المصرية القاهرة، ط/ ٢ ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.

٢٤-جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام ابن جرير الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة، ط١/ ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠ م

٢٥-جذور البلاء، عبد الله التل، دار الإرشاد، ط ١٣٩٠١٩٧١.

٢٦-جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، لعبد العزيز ين صالح بن إبراهيم الطويان، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م

٢٧-الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار المعرفة – المغرب، ط١ ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

٢٨-جواهر القرآن، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق الدكتور الشيخ محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

٢٩-درء تعارض العقل والنقل، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١١هـ ١٩٩١ م

٣٠-روح البيان، لإسماعيل حقي الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولىٰ أبو الفداء، دار الفكر – بيروت.

٣١-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ

٣٢-سنن أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، المحقق: محيي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

٣٣-شرح صحيح البخاري، لابن بطال أبو الحسن علي بن خلف، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، نشر مكتبة الرشد السعودية، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م

٣٤-شرح الطيبي علىٰ مشكاة المصابيح المسمىٰ بـ (الكاشف عن حقائق السنن) لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، نشر مكتبة نزار مصطفىٰ الباز (مكة المكرمة الرياض) ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٧ م

٣٥-شعب الإيمان لأحمد بن الحسين بن علي بن موسىٰ الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط/ ١ ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

٣٦-الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، لأبي الفضل القاضي عياض بن موسىٰ اليحصبي، الحاشية: أحمد بن محمد بن محمد الشمنىٰ، دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، ط ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م.

٣٧-الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، مطابع دار الكتاب العربي بمصر.

٣٨-صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر دار طوق النجاة الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٢هـ.

٣٩-صحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد ناصر الدين الألباني، أشرف علىٰ طبعه زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣/ ١٤٠٨هـ١٩٨٨م.

٤٠-صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفىٰ: ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباق دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤١-الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٨هـ.

٤٢-عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار ابن كثير، دمشق، بيروت/ مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط٣ ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٤٣-الغارة علىٰ العالم الإسلامي، ألفريد لوشاتليه، التلخيص والنقل إلىٰ اللغة العربية: مُساعد اليافي، مُحبُّ الدين الخطيب، منشورات العصر الحديث، ط٢، ١٣٨٧هـ.

٤٤-الغارة التنصيرية علىٰ أصالة القرآن الكريم، للدكتور عبد الراضي محمد عبد المحسن، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
٤٥-فتح القدير تأليف محمد بن علي الشوكاني، تحقيق وتعليق سعيد محمد اللحام، دار الفكر بيروت، ط٢/ ١٤١٤هـ١٩٩٣م.
٤٦-فتح المنعم شرح صحيح مسلم، للأستاذ الدكتور موسىٰ شاهين لاشين، دار الشروق، ط١، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
٤٧-فضائل القرآن، لأبي بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المُسْتَفاض الفِرْيابِي، تحقيق وتخريج ودراسة: يوسف عثمان فضل الله جبريل، نشر: مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.
٤٨-فهم القرآن ومعانيه، للحارث بن أسد المحاسبي، المحقق: حسين القوتلي، دار الكندي، دار الفكر – بيروت، ط٢، ١٣٩٨.
٤٩-الفوائد، لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.
٥٠-القاموس المحيط تصنيف إمام أهل اللغة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار الفكر بيروت، ط / ١٤١٥هـ١٩٩٥م.
٥١-قوىٰ الشر المتحالفة، محمد محمد الدهان دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة ط٢ ١٤٠٨/ ١٩٨٨.
٥٢-الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأيوب بن موسىٰ الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، المحقق: عدنان درويش محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت
٥٣-كتاب جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد الحسن بن دريد، حققه وقدم له د. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط١/ ١٩٨٧م.
٥٤-كليات رسائل النور، لبديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، ط٤، ٢٠٠٤م.
٥٥-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي – بيروت ط٣/ ١٤٠٧هـ.
٥٦-لسان العرب للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار الفكر ط١/ ١٤١٠هـ١٩٩٠م.

٥٧-مجالس التذكير من حديث البشير النذير، للشيخ عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية الجزائرية، ط١، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
٥٨-مجالس القرآن من التلقي إلىٰ التزكية، للدكتور فريد الأنصاري، منشورات ألوان مغربية، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء المغرب، ط١ ١٤٢٥هـ٢٠٠٤.
٥٩-مجموع الفتاوىٰ، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ط ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م
٦٠-محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١/ ١٤١٨هـ.
٦١-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية بيروت، ط١ ١٤٢٢هـ
٦٢-مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط/ ١٤١٥هـ١٩٩٥م.
٦٣-مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت ط٣، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.
٦٤-مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١/ ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.
٦٥-المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.
٦٦-المصنف، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، نشر المجلس العلمي الهند، يطلب المكتب الإسلامي – بيروت، ط٢، ١٤٠٣.
٦٧-معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفىٰ: ٥١٠هـ) تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ

٦٨-المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دارا الحرمين، القاهرة ط/ ١٤١٥هـ.
٦٩-المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر بيروت، ط٤/ ١٤١٨هـ١٩٩٧م.
٧٠-معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق: عبد السلام محمد هارون دار الفكر الطبعة: ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
٧١-مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣/ ١٤٢٠هـ.
٧٢-المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية دمشق بيروت، ط١ ١٤١٢هـ
٧٣-المقصد الأسني في شرح معاني أسماء الله الحسنىٰ، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي، نشر الجفان والجابي – قبرص، ط١، ١٤٠٧ – ١٩٨٧.
٧٤-منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، لحمزة محمد قاسم، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف المملكة العربية السعودية، طبعة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
٧٥-المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محيي الدين يحيىٰ بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢، ١٣٩٢.
٧٦-موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، لأبي سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، النبلاء للكتاب، مراكش – المغرب، ط١.
٧٧-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٧٨-النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، دار الفكر، بيروت.

الموضوعات

المبحث الأول: التمهيدي	٢
المبحث الثاني: بعض مظاهر تعظيم الله تعالىٰ	٦
المبحث الثالث: المعرفة بالله تعالىٰ أساس تعظيمه	٧
المبحث الرابع: القرآن الكريم باب معرفة الله وتعظيمه	٨
المبحث الخامس: ضعف تعظيم القرآن مصدر التعظيم	١٣
المبحث السّادس: سبيل العلاج والعودة	٢٥
المصادر والمراجع	٢٧
الموضوعات	٣٤